

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[440] يريد العاجلة ...) هو خطاب لأُولئك الذين يستهدفون هذه الحياة العادية الزائلة، ويقفون عندها. وعادةً فإن استخدام تعابير "المزرعة" أو "المتجر" وما شاكلهما في تشبيه الحياة الدنيا ووصفها، يعتبر دليلاً حياً على هذا الموضوع. وخلاصة القول: إِزَّهَتْ إِذَا تَمَّتِ الْإِسْتِفَادَةُ مِنْ مَوَاهِبِ الدُّنْيَا وَعَطَايَاهَا الَّتِي تُعْتَبَرُ مِنَ النِّعَمِ الْإِلَهِيَّةِ؛ وَيُعْتَبَرُ وُجُودُهَا ضَرْباً فِي نِظَامِ الْخَلْقِ وَالْوُجُودِ، وَتَمَّتِ الْإِسْتِفَادَةُ فِي سَعَادَةِ الْإِنْسَانِ الْآخِرِيَّةِ وَتَكَامُلِهِ الْمَعْنَوِيِّ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُعْتَبَرُ أَمراً جيداً، وتمتدح معه الدنيا. أمّا إِذَا اعْتَبَرْنَا هَدَفاً لَا وَسِيلَةَ، وَأَبْعَدْنَا عَنْ الْقِيَمِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ، عِنْدَهَا سَيُصَابُ الْإِنْسَانُ بِالْغُرُورِ وَالْغَفْلَةِ وَالطَّغْيَانِ وَالْبَغْيِ وَالظُّلْمِ. وَمَا أَجْمَلَ وَصَفَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لِلدُّنْيَا حِينَما يَقُولُ: "مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصْرَتَهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتَهُ" (1). وفي أن الفرق بين الدنيا المذمومة والدنيا الممدوحة، هو نفس الفرق الذي نستفيد منه، بين "إليها" و"بها"، إذ تعني الأولى أن الدنيا هدف، بينما تعني الثانية أن الدنيا مجرد وسيلة! ثانياً: دور السعي في تحقيق المكاسب: هذه ليست المرّة الأولى التي يشيد فيها القرآن بالسعي والجهد ودورهما في تحقيق المكاسب، وبعبارة أخرى يحدّر الأشخاص العاطلين والكُسالى بأنّ السعادة الآخروية لا يمكن ضمانها بالكلام المجرد، والتظاهر بالإيمان، بل الطريق يتمثل بالسعي وبذل الجهود. وهذه الحقيقة واضحة مفادها في الكثير من الآيات القرآنية. ففي سورة _____ 1 - يراجع نهج البلاغة، الخطبة رقم (82).